إنابة الحروف في تفسير نفائس التأويل للشريف المرتضى (ت : ٤٣٦هـ)

أ.د محسن حسين علي الخفاجيّ
جامعة بابل / كلية التربية للعلوم الانسانية
Muhsen hussian@yahoo.com

حسن سعيد عبد هاشم الموسويّ
جامعة بابل / كلية التربية للعلوم الانسانية
Hassan.almussawi7@gmail.com

الخلاصة

أظهر البحث جملة من النتائج أبرزها :

١. اورد السيد آراء كل من البصريين والكوفيين في مسألتي التضمين والإنابة من دون ان يكون له توجّه معين إزاء كل من الفريقين في هاتين المسألتين.

٢- يعرض السيد الآراء النحوية جميعها ويناقشها نقاشاً مستفيضاً وإن لم يؤيدها ، فمثلا في قوله تعالى ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴾ (سورة يونس : الآية ٩٤) جعل السيد مجيء (إن) بمعنى (ما) الجحدية احد الوجوه الجائزة في الآية على الرغم من عدم تأييده لهذا الوجه.

٣. يبني السيد بعض آرائه النحوية على استقراءٍ ناقص كذكره أنّ العرب تستعمل (على) في مقام الشرّ والكذب، وتستعمل (عن) في مقام الخير والحقّ ، وقد أثبت البحث أنّ هذا الرأي لا يصحّ أنْ يكون مطلقا بل هو مقيّد في مواضع معينة ، والنصّ القرآني يشهد باستعمال (على) في مقام الخير و (عن) في مكان الشر والعكس صحيح

الكلمات الدالة: التضمين . الإباحة . الظرفية – تفسير الشريف المرتضى – الانابة في الحروف .

تقديم للبحث :

ثمة تداخل كبير بين مصطلحي التضمين والانابة ، وهذا التداخل ادى الى وقوع الخلاف بين البصريين فالبصريون يحملون تعدية الفعل بغير حرفه على التضمين ، والكوفيون يحملونه على جواز إنابة الحروف بعضها مكان بعض [١] ، يقول ابن هشام : ((مذهب البصريين أنّ أحرف الجر لاينوب بعضها عن بعض بقياس ، كما أنّ أحرف الجزم وأحرف النصب كذلك ، ومأأوهم ذلك فهو عندهم إمّا مؤول تاويلا يقبله اللفظ ، كما قيل في ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ ﴾ (سورة طه : الآية ٧١) إنّ (في) ليست بمعنى (على) ولكنّ شُبّه المصلوب لتمكنّه من الجذع بالحالّ في الشيء ، وإمّا على تضمين الفعل معنى فعل يتعدّى بذلك الحرف ، كما ضمّن بعضهم (شربن) في قوله (شربن بماء البحر) معنى (روين) ، و (أحسن) في ﴿ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ ﴾ (سورة يوسف : الآية ١٠٠) معنى (لطف) ، وإمّا على شذوذ إنابة كلمة عن أخرى)) [٢] ، و يبدو أنّ الكوفيين ذهبوا بعيدا في مسألة إنابة حروف الجر بعضها من بعض ولو كان مذهبهم صحيحا والقياس عليه لصحّ أنْ نقول (سرتُ إلى زيد) والمراد معه ، و(زيد في الفرس) والمراد عليه [٣] ، والبصريون حاولوا ليَّ عنق بعض النصوص كي تستقيم قاعدتهم في التضمين ففي الآية الكريمة المذكورة آنفا ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ ﴾ (سورة طه :

---

(١) ينظر : التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين : ٤٠٣ (مسألة ٦٧) ، وائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة : ١٤٨ (مسألة ١٠) .
(٢) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ١ / ١٥٠ – ١٥١ .
(٣) ينظر : معاني النحو : ٣ / ٩ .

الآية ٧١) أرى أنّ رأي البصريين فيه تكلّف وتعقيد ظاهر للعيان ورأي الكوفيين هو الأقرب إلى جادة الصواب والله العالم .

ويتضح مما تقدّم أنّ عماد التعدية في التضمين حروف الجر ؛ إذ يُعدّى الفعل المذكور بحرف الفعل المضمَّن، وبهذا الصدد يرى ابن السراج أنّ حروف الجر يتّسع فيها ويقام بعضها مقام بعض إذا تقاربت المعاني بينها ، فمن ذلك (الباء) تقول : فلان بمكة وفي مكة ، وإنّما جازا معا لأنّك إذا قلتَ : فلانٌ بموضع كذا وكذا فقد خبرت عن اتصاله والتصاقه بذلك الموضع ، وإذا قلتَ : في موضع كذا فقد خبّرت بـ (في) عن احتوائه إيّاه احاطته.

Abstract

:The research showed a number of results

The difference between the visuals and the Kufians in the question of inclusion; it is prepared by the visuals for the specific acts, while the Kufayn prepared for the letters of the draft, and the Sharif Almtrdp inclined to a particular doctrine in this matter.

Sayyed 's disorder in some of his grammatical opinions and his instability on a particular opinion, for example in the verse :

Mr. (N) came back in the sense of what he did first and returned to accept this face and seek forgiveness for him.

In some of his grammatical opinions, the Arabs are used as an excuse to use evil to lie and to use (in) the place of good and truth. The research has proven that this view is not absolute, but is restricted in certain places.) In the place of good and (about) in the place of evil and vice versa.

: Opening Remarks.

.Embedding the permissive or circumstantial character

حاطته

(١) ولعلّ ابن جني أوضح ذلك بقوله : ((اعلم أنّ الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر وكان أحدهما يتعدّى بحرف الجر والآخر بآخر فإنّ العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذانا بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ماهو في معناه)) (٢) .

وهذا البحث ماهو الإ محاولة لتسليط الضوء على مظاهر التضمين في تفسير الشريف المرتضى المسمّى بـ(نفائس التأويل)، ذلك التفسير الذي ماكان ليرى النور لولا جهود ثُلّة طيبة من العلماء المحققين يتقدّمهم السيد (مجتبى أحمد الموسويّ) الذين أخذوا على عاتقهم جمع الآيات التي كان الشريف المرتضى يطرحها على طلابه في مجالسه التي كان يعقدها للدراسة والبحث في نصوص القرآن الكريم ، وكانت آرائه في هذه الآيات مبثوثة في كتبه المتنوعة ومنها (الأمالي ، والناصريات ، والإنتصار ، والشافي ، وتنزيه الأنبياء) وغيرها ، وجميع هذه الآراء جُمعّت في هذا التفسير الذي أطلق عليه (نفائس التأويل) ؛ لأنّها بحق جواهر ثمينة لاتقدّر بثمن ، وهي مادة الدراسة لهذا البحث ...

ومن الله التوفيق

---

(١) ينظر : الأصول في النحو : ١ / ٤١٤ .
(٢) الخصائص : ٥١٠ .

ملخص البحث

يتمثل موقف الشريف المرتضى من مسألة التضمين والإنابة بأنّه كان يختار ما يوافق السياق والمعنى في النص القرآني من دون أن ينحاز إلى مذهب معين ، وإن كان قد ذهب مذهب الكوفيين في أنّ حروفَ المعاني يقوم بعضها مقام بعض فنراه يقول : ((والدليل على أنّ (على) تقوم مقام اللام ما حكاه يعقوب ابن السِّكّيت عن أبي زيد عن العرب أنّهم يقولون : صف عليَّ كذا وكذا حتى أعرفه ، بمعنى صف لي ، ويقولون: ما أغيظك عليّ يريدون ما أغيظك لي والعرب تقيم بعض حروف الصفات* مقام بعض ، فيقولون : سقط الرجل لوجهه ، يريدون على وجهه)) [١] إلّا أنّ قوله هذا لا يُعدُّ انتصارا لمذهب الكوفيين على حساب البصريين – أي انه لا يؤيد مذهباً معيناً – ، فقد اكتفى في بعض المواضع بعرض الوجوه المختلفة في الآية من دون أن يبدي رأيه فيها ، فمثلا في قوله تعالى ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴾ (سورة هود : الآية ٩٠) .

ذكر السيد أنّه لو سأل سائل وقال : الشيء لايعطف على نفسه لاسيّما بالحرف الذي يقتضي التراخي والمهلة وهو (ثم) وإذا كان الاستغفار هو التوبة فما وجه هذا الكلام ؟ قلنا في الجواب عن ذلك : إنّ في الآية وجوها عدّة[٢] :

١–أن يكون المعنى اجعلوا المغفرة غرضكم وقصدكم الذي إليه تجأرون ونحوه تتوجهون ، ثم توصّلوا إليها بالتوبة إليه ، فالمغفرة أول في الطلب وآخر في السبب .

٢–إنّه لايمتنع أن يريد بقوله استغفروا ربّكم أي سلوه التوفيق للمغفرة والمعونة عليها ثم توبوا إليه ؛ لأنّ المسألة للتوفيق فينبغي أنْ تسبق التوبة .

٣–إنّه أراد بـ (ثم) الواو ، وعليه يكون المعنى استغفروا ربّكم وتوبوا إليه ، وهذان الحرفان قد يتداخلان بينهما فيقوم أحدهما مقام الآخر .

٤–أنْ يريد استغفروه قولا ونطقا ، ثم توبوا إليه لتكونوا بالتوبة فاعلين ، إلى غير ذلك من الوجوه المحتملة في الآية.

***مصطلح حروف الصفات مصطلح كوفي ، ويقابله عند البصريين مصطلح حروف الجر ، ولعلهم أخذوه من الخليل فقد كثر وروده في كتابه (العين) ، ينظر : مادة (إلى) : ٩٩/١ ، مادة (عند) : ١٢٩١/٢ ، مادة (على) : ١٢٧٩/٢ ، مادة (في) : ١٤٣٠/٣ .**

(١) أمالي المرتضى : ٨٣/٢ .

(٢) ينظر : تفسير الشريف المرتضى : ٤٤٦/٢ ، وتنزيه الانبياء : ٩٦ .

وواضح من ذكر هذه الوجوه أنّ الشريف المرتضى نأى بنفسه عن تبني وجه محدد في الآية ولو شاء ذلك لأورد الرأي الثالث المتفق مع رأي الكوفيين في إنابة الحروف يعضها عن بعض من دون ذكر الوجوه الأخرى ، ولو فعل ذلك لجازَ لنا القول بإنّه ناصر الكوفيين في مسألة الإنابة .

وبعد هذا العرض الوجيز لموقف الشريف المرتضى فيما يخصّ التناوب أعرض للشواهد القرآنية التي ناقشها وأبدى رأيه فيها على النحو الآتي :

الإنابة في الحروف :

أ) الحرف (أو) للإباحة وبمعنى (بل)

قال تعالى ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ (سورة البقرة : الآية ٧٤).

ذكر الشريف المرتضى أنّه لو سأل سائل عن معنى (أو) هاهنا ؟وظاهرها يفيد الشك الذي لا يجوز عليه تعالى قلنا في الجواب عن ذلك وجوه عدّة [١] :

١. أن تكون (أو) هاهنا للإباحة كقولهم : جالس الحسن أو ابن سيرين ، والقَ الفقهاء أو المحدّثين ، ولم يريدوا الشك ؛ بل كأنّهم قالوا : هذان الرجلان أهلٌ للمجالسة ، وهذان القبيلان أهلٌ للقاء ، فإن جالست الحسن فانت مصيبٌ ، وإن جالست ابن سيرين فانت مصيبٌ ، وإن جمعت بينهما فكذلك .

فيكون معنى الآية على هذا : إنّ قلوب هؤلاء قاسية متجافية عن الرُّشد والخير ، فإن شبّهتم قسوتها بالحجارة أصبتم ، وإن شبّهتوها بما هو أشدُّ أصبتم ، وإن شبّهتموها بالجميع فكذلك .

٢. أن تكون (أو) دخلت للتفصيل والتمييز ، ويكون معنى الآية : إنّ قلوبهم قست ، فبعضها ماهو كالحجارة في القسوة ، وبعضها ماهو أشدّ قسوة منها ، ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ ﴾ (سورة البقرة : الآية ١٣٥) .

٣. أن يكون (أو) دخلت على سبيل الإبهام فيما يرجع إلى المخاطب* ، وإن كان الله تعالى عالما بذلك غير شاكٍ فيه ؛ لأنّه تعالى لم يقصد في إخبارهم عن ذلك التفصيل ؛ بل عَلِم عزّ وجلّ أنّ خطابهم بالإجمال أبلغ في مصلحتهم ، فأخبر تعالى أنّ قسوة قلوب هؤلاء الذين ذمهم كالحجارة أو أشد قسوة ، والمعنى أنّها كأحد هذين لايخرج عنهما .

٤- أن تكون (أو) بمعنى (بل) كقوله تعالى﴿ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ﴾ (سورة الصافات : الآية ١٤٧) . معناه : بل يزيدون .

٥- أن تكون (أو) بمعنى (الواو) كقوله تعالى﴿ لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ ﴾ (سورة النور : الآية ٦١) ، معناه : وبيوت آبائكم ، ويبدو أنّ كل تلك الوجوه جائزة محتملة عند الشريف المرتضى بدليل أنّه ذهب يلتمس الأدلة لكل وجهٍ من الوجوه التي ذكرها ، فعلى سبيل التمثيل قال عن الوجه الأخير – أقصد أن تكون (أو)

---

(١) ينظر : تفسير الشريف المرتضى : ٤٣٨/١ -٤٤١ .
*ذهب لذلك الطبري ، ينظر جامع البيان في تفسير القرآن ٢٣٥/٢ ــ ٢٣٦

بمعنى(الواو) – إنْ اعترضَ معترضٌ وقال : ((كيف يكون (أو) في الآية بمعنى (الواو) ، والواو للجمع ، وليس يجوز أنْ تكون قلوبهم كالحجارة أو أشدُّ من الحجارة في حالة واحدة ؛ لأنّ الشيء إذا كان على صفة لم يجزْ أنْ يكون على خلافها ! قلنا :... إنّ قلوبَ هؤلاء في بعض الأحوال مع القسوة والعدول عن قبول الحقّ والفكرة فيه ، ربّما لانت بعض اللين ، وهمّت بالانعطاف ، وكادت تصغي إلى الحق فتكون في هذه الحال كالحجارة التي ربّما لانت ، وفي حالٍ أخرى تكون في نهاية البعد عن الخير والنفور عنه ، فتكون في هذا الحال أشدُّ قسوة من الحجارة))[١] ، ولم تخرج آراء المفسرين المتأخرين عن تلك الوجوه التي ذكرها الشريف المرتضى فيما يخصّ دلالة (أو) في الآية ، فضلا عن أنّ السيد قد تابع أراء سابقيه فيما طرحه بخصوص الأية الكريمة ، فذهب الزّجّاج إلى أنّ (أو) هنا للإباحة حملا على قوله تعالى ﴿ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ (سورة البقرة : الآية ١٩) ، أي أُبيح للمخاطبين أن يشبهوا بهذا أو هذا [٢] ، وذهب الزمخشريّ إلى القول : ((إنّ المعنى في قوله تعالى (فهي كالحجارة) أي فهي في بعد قسوتها مثل الحجارة أو أشد قسوة منها ، و(أشد) معطوف على (الكاف)، إمّا على معنى (أو مثل أشد قسوة) ... وإمّا على (أو هي نفسها أشد قسوة) والمعنى : إنّ من عرف حالها شبّهها بالحجارة ، أو بجوهرٍ أقسى منها وهو الحديد مثلا))[٣] ، و الرازيّ والشوكانيّ قد ذكرا هذه الوجوه مجتمعة في معرض حديثهما عن الآية الكريمة من دون ترجيح لوجه على الآخر[٤] ، ومن المفسرين من يرى أنّ (أو) في الآية بمعنى (بل) والمراد بكونها بمعنى (بل) انطباق معناها على موردها ، وقد بيّن تعالى شدة قسوة قلوبهم بقوله (وإنّ من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار) فقوبل فيه بين الحجارة والماء لكون الحجارة يضرب بها المثل في الصلابة وكون الماء يضرب به المثل في اللين ، فهذه الحجارة على كمال صلابتها يتفجر منها الأنهار على لين مائها وتتشقق فيخرج منها الماء على لينه ، ولايصدر من قلوب هؤلاء أي فعل خير على الاطلاق [٥] ، وقبل أن أناصر هذا أو أناصر ذاك لابدّ من أن أضعَ هذه الوجوه التي ذكرها الشريف المرتضى والمفسرون من بعده على موضع النقاش والتدقيق والتمحيص على النحو الآتي :

١. القول بإنّ (أو) في الآية الكريمة جاءت للإباحة لايستقيم مع المراد من الآية ؛ لأنّ الأخذ بهذا المعنى يبيح للمخاطبين تشبيه القلوب بالحجارة أو بما هو أقسى وتتساوى درجة التشبيه في كلا الأمرين وهذا ينافي منطق الآية المباركة ، وقد ردّ ابن القيّم الجوزيّة هذا الوجه وقال عنه إنّه فاسد في معرض حديثه واعتراضه على رأي الزجاج في الآية ، فقد ذهب الزجاج إلى حمل الآية على قوله تعالى ﴿ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ (سورة البقرة: الآية ١٩) ، وذكر أنّ (أو) هنا للإباحة أي أُبيح للمخاطبين أن يشبّهوا بهذا أو هذا[٦] ، وقال ابن القيّم عن هذه الآية :((إنّه تعالى ذكر مثلين مضروبين للمنافقين في حالتين مختلفتين ، فهم لا يخلون من أحد الحالين فـ(أو) على بابها من الدلالة على أحد المعنيين ، وهذا كما تقول (زيد لا يخلو أن يكون في المسجد أو الدار) ذكرت (أو) لأنّك أردت أحد الشيئين))[٧] ، وعن الآية المباركة – مورد البحث – يرى ابن القيّم أنّه تعالى ذكر قلوبا ولم يذكر قلبا واحدا ، فهي على الجملة قاسية ، وعلى التعيين لا تخلو من أحدِ أمرين : إمّا أن تكون كالحجارة ، وإمّا أنْ تكون أشد قسوة ، وجوّز في الآية أنْ تُحمل على قوله تعالى ﴿ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ

---

(١) تفسير الشريف المرتضى : ٤٤٣/١ .
(٢)ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ١٥٦/١ .
(٣) الكشاف : ١٥٦/١ .
(٤) ينظر : مفاتيح الغيب : ٣ / ١١٨ ، وفتح القدير : ١/ ٦٨ .
(٥)ينظر : الكشف والبيان ٢٢١/١ ، والتفسير الوسيط ١٥٨/١ ، والميزان ٢٠٢/١ .
(٦) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ١٥٦/١ .
(٧) بدائع الفوائد : ٣٤٥/١ .

أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ (سورة الصافات : الآية ١٤٧) أي بمعنى (بل)[١] ، ويستمرُّ ابن القيّم في دحضه لمن رأى أنّ (أو) في الآية المشار إليها سابقا كانت للإباحة بقوله : ((إنّ (أو) التي زعموا أنّها للإباحة نحو (جالس الحسن أو ابن سيرين) فلم توجد الإباحة من لفظة (أو) ولا من معناها ، ولا تكون (أو) قط للإباحة وإنّما أُخذت من لفظ الامر الذي هو للإباحة ، ويدلّ على هذا أنّ القائلين بإنّها للإباحة يلزمهم أنْ يقولوا إنّها للوجوب إذا دخلت بين شيئين لابدّ من أحدهما نحو قولك للمكفِّر : أطعم عشرة مساكين أو اكسهم ، فالوجوب هنا لم يؤخذ من (أو) وإنّما أُخذ من الأمر فكذا جالس الحسن أو ابن سيرين))[٢] ، ويبدو أنّ حماسة ابن القيّم في الردّ على الزاعمين بأنّ (أو) في الآية للإباحة دفعته إلى إنكار مجيء (أو) بهذا المعنى في شيء من الكلام ، وقوله هذا مردود فمعنى الإباحة في (أو) أثبتته كتب النحاة قديمها وحديثها[٣] ، بيدَ أنّي اتفق معه في عدم إرادة معنى الإباحة في الآية كما أسلفت سابقا.

٢. القول بإنّ (أو) في الآية الكريمة بمعنى (الواو) يتنافى مع سياق الآية الكريمة ؛ لأنّ (الواو) لمطلق الجمع وفائدتها الجمع بين الشيئين لا بين الشيء الواحد[٤] ، والناظر للآية يتبين له بوضوح أنّ المذكور والمخبر عنه واحد وهو قلوب بني إسرائيل ، ولا يمكن أنْ تكون وتشبّه بالحجارة وبأشد منها قسوة في وقت واحد ، وأرى ما يراه الدكتور فاضل السامرائي أنّ (أو) ليست كالواو تماما بل هي لأحد الشيئين أو الأشياء أيضا وليست للجمع فمثلا نقول لشخص : (ابتعد عن فلان فإنّه لا يجالسه إلّا لئيمٌ أو مخادعٌ) ومعنى ذلك أنّه يجالسه هذان الصنفان من الناس وكلّ صنف منهما ينبغي الابتعاد عنه ، وإذا قلت ذلك بالواو احتمل أنْ يكون الذي يجالسه صنفا واحدا اجتمعت فيه هاتان الخصلتان ، واحتمل أنّ النهي كان لاجتماع الصنفين ، لا أنّ كل صنفٍ ينبغي أن يبتعد عنه فلو كان معه صنف واحد لما كان هذا النهي[٥] أمّا تسويغ الشريف المرتضى ودفاعه عن هذا الوجه – مجيء (أو) بمعنى (الواو) في الآية – على نحو ما ذكر فلا يمكن الركون إليه مطلقا ويُخيّلُ إليّ أنّ الشريف المرتضى رأى في إمتثالهم للأمر الآلهي بذبح البقرة على نحو ما بينته الآيات السابقة للآية التي هي مورد البحث بأنّه يمثل نوعا من اللّين والإصغاء للحقّ ، ولكن في المقابل جاء الإخبار الإلهي عن هؤلاء بقوله تعالى (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك) بعد أنْ رأوا آية من آيات الله على نحو ما أخبرنا به تعالى بقوله ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ (سورة البقرة : الآيتان ٧٢-٧٣) ، وبدأت الآية الكريمة – مورد البحث – بالحرف (ثمّ) وهو وإن كان الأصل فيه العطف ويأتي للترتيب مع التراخي إلّا أنّه يخرج لمعنى التعجب أيضا [٦] ، ويمكن أن تُحمل آية (ثم قست قلوبكم) على معنى التعجب من قسوة قلوب بني إسرائيل

---

(١) ينظر : بدائع الفوائد :١/ ٣٤٥-٣٤٦ .
(٢) بدائع الفوائد : ١/ ٣٤٦ .
(٣) ينظر : كتاب سيبويه : ١٨٤/٣ ، والمقتضب : ١١/١ ، والاصول : ٥٦/٢ ، وشرح الرضي : ٣٩٧/٤ ، وأوضح المسالك : ٣٤٠/٣ ، وجامع الدروس العربية : ٥٧٧ ، ومعاني النحو : ٢١٨/٣ .
(٤) ينظر : معاني النحو : ١٨٧/٣ .
(٥) ينظر : معاني النحو: ٢٢١/٣.
(٦) ينظر : شرح الرضي على الكافية : ٣٨٩/٤ ، ومعاني النحو : ٢٠٩/٣ ، وفي الآية أفادت (ثم) استبعاد مضمون مابعدها عن عن مضمون ماقبلها وعدم مناسبته له ويبدو أنّ رائحة التعجب تشمّ من آية سورة البقرة مورد البحث والآية الأولى من سورة

بعدما شاهدوا البرهان الواضح عن قدرة الله ، فالمتعجب من قسوة القلوب كيف يجمع بينها وبين الحجارة ! التي على قسوتها وصلابتها خضعت لإرادة الله ، قال تعالى ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾ (سورة الأعراف : الآية ١٤٣) ، وقوله تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ ﴾ (سورة الأعراف : الآية ١٦٠) وبذلك يتبين فضل الحجارة على قلوب هؤلاء الميتة ويندفع الرأي القائل بإنّ (أو) في الآية بمعنى (الواو) .

٣. القول بإنّ (أو) دخلت للتفصيل والتمييز على معنى أنّ القلوب بعضها ماهو كالحجارة في القسوة ، وبعضها ماهو أشدّ قسوة منها مردود بقوله تعالى (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشدّ قسوة) فالله جلّ وعلا لم يفصّل القلوب فلم يقل (فبعضها كالحجارة) و(بعضها أشدّ قسوة من الحجارة) بل قال (فهي كالحجارة أو أشدّ قسوة) إشارة إلى القلوب جميعا ، ولو قال بالتبعيض لكان من يشبّه بالحجارة ممدوحا لامذموما لما بيّن الله تعالى من أمر الحجارة وخضوعها للإرادة الإلهية ، وجلّ وعلا لم يرد مدح بعضهم بل أراد ذمّهم جميعا .

٤ـ القول بإنّ (أو) في الآية بمعنى (بل) حملا على قوله تعالى ﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ (سورة الصافات : الآية ١٤٧) يجعل الكلام مستدركا ، وهو عزّ وجلّ يرتفع عن أن يغلط في خبر ثم يستدرك على نفسه الغلط ، وهو العالم بما كان وما يكون وما لا يكون ، وإنّما يستدرك على نفسه المخلوق المنقوص [١]، فضلا عن آية سورة الصافات أُريد بها الإبهام على المخاطب ولم يقصد التبيين له ، والمعنى : إنّهم من الكثرة بحيث يقال فيهم : هم مئة ألفٍ أو يزيدون ، فـ(أو) على بابها دالة على أحد الشيئين ، إمّا مئة ألف بمجردها ، وإمّا مئة ألف مع زيادةٍ عليها ، والمخبر في كلّ هذا متيقّن غير شاكّ [٢] .

٥. القول بإنّ المراد بقوله تعالى (أو أشدّ قسوة) الإبهام على السامعين وعدم التبيين لهم أراه أرجح الآراء ، ويجري مجرى القائل : أكلت خبزا أو لحما ، وهو لا يريد به أنّي لا أدري ما أكلت بل يريد أن يبهم على السامع حتى لا يعلم ما أكل وإنْ كان يعلم أنّه قد أكل فأبهَمَ عزّ وجل في الأول حيث قال (أو أشدّ) ، وبيّن في الثاني أنّ قلوبهم أشدّ قسوة من الحجارة لا بقوله (أو أشدّ قسوة) ولكن بقوله (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار) أي : فهي في القساوة بحيث لا يتوقع منها الخير ، وفي الحجارة ما فيه الخير والمنفعة للبشرية [٣] ، ويعدّ أسلوب الإيضاح بعد الإبهام أحد مظاهر التوسع في المعنى .

- ومن صور الانابة في الحرف (أو) ما قيل إنّه يأتي بمعنى (حتى) و(إلّا أن) كما في قوله تعالى ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران : الآية ١٢٨) .

الأنعام في قوله تعالى ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (سورة الأنعام : الآية ١) .

(١) ينظر : البرهان في تفسير القرآن: ١٩٣/١ .
(٢) ينظر : بدائع الفوّاد : ١/ ٣٤٥.
(٣) ينظر : البرهان في تفسير القرآن : ١٩٣/١ ـ ١٩٤ .

ذكر الشريف المرتضى أنّه لو سأل سائل عن هذه الآية وقال : كيف جاءت (أو) بعد مالا يجوز أن يعطف عليه ؟ وما الناصب لقوله (أو يتوب عليهم) وليس في الكلام ما يقتضي نصبه ؟ قلنا في الجواب عن ذلك وجوها عدّة هي[١] :

١. أن يكون قوله (أو يتوب عليهم) معطوفا على قوله (ليقطع طرفا) الوارد في الآية السابقة من قوله تعالى ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴾(سورة آل عمران : الآية ١٢٧) ، والمعنى أنّه تعالى عجّل لكم هذا النصر ، ومنحكم به، ليقطع طرفا من الذين كفروا ؛ أي قطعة منهم ، أو طائفة من جمعهم، أو يكبتهم؛ أي يغلبهم ويهزمهم بكم فيخيّب سعيهم ، ويكذّب فيهم ظنونهم إلى آخر المعاني التي أوردها السيد في هذا الوجه، وعلى وفق ذلك يكون قوله تعالى (ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم او يعذبهم) معطوفا على قوله تعالى﴿ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ (سورة آل عمران : الآية ١٢٦) ؛ أي ليس لك ولا لغيرك من هذا النصر شيء ؛ وإنما هو من الله تعالى .

٢. أن تكون (أو) بمعنى (حتى) أو (إلّا أن) ؛ والتقدير : ليس لك من الامر شيء حتى يتوب عليهم ؛ أو إلّا أن يتوب عليهم ، ومن ذلك ماقاله إمرؤ القيس[٢] :

بَكَى صَاحِبِي لَمّا رَأَى الدَّرْبَ دُوْنَهُ وَأَيْقَنَ أَنّا لَاحِقَـــانِ بِقَيْصَرَا
فَقُلْتُ لَهُ : لَاتَبْكِ عَيْنَاكَ إنّمَـــــا نُحَاوِلُ مُلْكًا أَو نَمُوتَ فَنُعْذَرَا

أراد : إلّا أن نموت ، والسيد بعد أنْ ذكر هذا الوجه قال عنه إنّه يضعَّف من طريق المعنى ؛ لأنّ لقائلٍ أنْ يقول: إنّ أمر الخلق ليس إلى أحد سوى الله تعالى قبل توبة العباد وعقابهم بعد ذلك ؛ فكيف يصحُّ أنْ يقول : ليس لك من الأمر شيء إلّا أن يتوب عليهم أو يعذبهم ؛ حتى كأنّه إذا كان أحد الأمرين كان إليه من الأمر شيء ! ، إلّا أنّ الشريف المرتضى التمس لهذا الوجه عذرا ، وقال عنه إنّه بإمكان نصرته إذا حُمِل الكلام على المعنى؛ وذلك أنّ قوله تعالى (ليس لك من الأمر شيء) معناه : ليس يقع ماتريده وتؤثره من إيمانهم وتوبتهم، أو ماتريده من إستئصالهم وعذابهم ، وإنّما مردّ ذلك كلّه لله جلّ وعلا إن شاء لطف بهم وتاب عليهم ، وإن شاء عذبّهم .

٣. أنْ يكون المعنى : ليس لك من الأمر شيء أو من أن يتوب الله عليهم ؛ فأضمر (من) إكتفاءً بالاولى ؛ وأضمر (أن) بعدها لدلالة الكلام عليها وإقتضائه لها ؛ وهي مع الفعل الذي بعدها بمنزلة المصدر ؛ وتقدير الكلام : ليس لك من الأمر شيء ومن توبتهم وعذابهم .

وقد تباينت آراء المفسرين فيما يخصّ الآية الكريمة ، فالفراء والزجاج ذهبا إلى القول بإنّ النصب في (أو يتوب) على ضربين ، الأول جواز عطفه على قوله (ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم أو يتوب عليهم أو يعذبهم)، والوجه الآخر : إنّ النصب بـ(أو) إذا كانت في معنى (إلّا أن) ، أي : ليس لك من الامر شيء بمعنى : ليس يؤمنون إلّا أن يتوب الله عليهم، أو حتى يتوب الله عليهم [٣] ، في حين ذهب الطبرسيّ إلى ترجيح الوجه الأول الذي ذكره الشريف المرتضى [٤] ، وقد ضعّف ابن عاشور رأي من قال إنّ (أو) في الآية بمعنى(

(٢) ينظر : تفسير الشريف المرتضى : ٢/٢٧-٢٩ ، وآماليه : ١/٥٨٨-٥٨٩ .
(٢) ديوانه : ٩٦ .
(٣) ينظر : معاني القرآن : ١/٢٣٤ ، ومعاني القرآن وإعرابه : ١/٤٦٨ .
(٤) ينظر : مجمع البيان : ٢/٢٩٦ .

حتى)، وتساءل عن المعنى المترتب من هذه الانابة، هل يجهله أحد حتى يحتاج إلى بيانه ؟، على أنّ الجملة وقعت بين علل النصر فكيف يشتت الكلام وتنتثر المتعاطفات ؟، ولم يغفل ابن عاشور الوجهين الآخرين في الآية الذين ذكرهما الشريف المرتضى من دون أن يرجح احدهما على الآخر ، وركّز على جملة (ليس لك من الأمر شيء) التي قال عنها إنّها معترضة بين المتعاطفات فيجوز حملها على صريح لفظها ، ويكون المعنى نفي أن يكون للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقتاله الكفّار بجيش المسلمين أي تأثير في حصول النصر يوم بدر ، ومعلومٌ أنّ المسلمين كانوا قلة يوم بدر والنصر حصل بمحض فضل الله على المسلمين ، والآيات الآتية تشهد على هذا المعنى ، قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾ (سورة آل عمران : الآيات :١٢٣- ١٢٦) ، وكذلك في قوله تعالى ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (سورة الأنفال : الآية ١٧) ، وعلى وفق هذا المعنى يكون لفظ الأمر من قوله تعالى (ليس لك من الأمر شيء) معناه الشأن ، و(أل) هنا عهدية، أي من الشأن الذي عرفتموه وهو النصر ، ويجوز أيضا أنْ تُحْمَل الجملة على أنّها كناية عن صرف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الاشتغال بشأن ماصنع الله بالذين كفروا ، من قطع طرفهم ، وكبتهم ، أو التوبة عليهم ، أو تعذيبهم ، وكلّ ذلك مرجعه إلى الله وحده .

ويمكن نصرة هذا الوجه إذا ماعلمنا أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يتألّم ويضيق صدره لحجم كفرهم وجحودهم بالله ونعمه على نحو الإخبار الإلهي بذلك ، قال تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ (سورة النحل : الآية ١٢٧) ، وقوله تعالى ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (سورة هود : الآية ١٢) .

وفي نهاية المطاف يطرح ابن عاشور وجهة نظره في الآية بوضوح ، فيقول : ((فإن قلتَ : هلّا جمع العقوبات متوالية ، فقال : ليقطع طرفا من الذين كفروا ، أو يكبتهم فينقلبوا خائبين ، أو يتوب عليهم ، أو يعذبهم ، قلتُ : روعي قضاء حقّ جمع النظير أولا ، وجمع الضدين ثانيا : بجمع القطع والكبت ، ثم جمع التوبة والعذاب ... ، واللام الجارة لام الملك ، وكاف الخطاب لمعيّن وهو الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)*)) [١] ، ولم يبعد السيد الطباطبائيّ في رأيه عن رأي ابن عاشور فذكر أنّ جملة (ليس لك من الأمر شيء) جملة اعتراضية ، وقوله تعالى (أو يتوب عليهم) معطوف على قوله تعالى (ليقطع) والكلام متصل [٢] ، ويترجّح عندي هذا الرأي؛ لأنّ الجملة المعترضة بين شيئين تفيد الكلام تقوية وتسديدا أو تحسينا وتقع في مواضع منها : وقوعها بين أجزاء الصلة كقوله تعالى ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ

*العبارة بين قوسين لم توجد في النص الأصلي وانما وجدت عبارة عليه الصلاة والسلام .

(١) التحرير والتنوير : ٢١٥/٣ .

(٢) ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١٠/٤-١١ .

ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (سورة يونس : الآيتان : ٢٦-٢٧) ، فإنّ جملة (وترهقهم ذلة) معطوفة على جملة (كسبوا السيئات) فهي من الصّلة ، ومابينهما اعتراض بيّن به قدر جزائهم [١] ، وبالنظر للآية – مورد البحث – تكون فائدة الجملة المعترضة تطييب خاطر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وإنّه ليس مسؤولا عن كفرهم أو إيمانهم ، والله العالم .

ب ـ الحرف (على) بمعنى عن واللام .

قال تعالى ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (سورة النحل : ٢٦).

ذكر الشريف المرتضى أنّه لو سأل سائل وقال : ما الفائدة في قوله : (من فوقهم) ؛ وهو لا يفيد إلّا مايفيده قوله(فخرّ عليهم السقف) ؛ لأنّ مع الاقتصار على القول الأول لا يذهب وهم أحد إلى أنّ السقف يخر من تحتهم ؟ لقلنا في الجواب عن ذلك وجوها عدة هي [٢] :

١. أن يكون (على) بمعنى (عن) ، فيكون المعنى : فخرّ عنهم السقف من فوقهم ؛ أي خرّ عن كفرهم وجحودهم بالله تعالى وآياته ، كما يقول القائل : اشتكى فلان عن دواء شرابه ، فيكون (عن) بمعنى (من) ، ويرى السيد أنّه لو قال تعالى (فخرّ عليهم السقفُ) ، ولم يقل (من فوقهم) جاز أن يتوهم متوهم أنّ السقف خرّ وليسوا هم تحته .

٢. أن يكون (على) بمعنى (اللام) ؛ والمراد : فخرّ لهم السقف ؛ فإنّ (على) قد تقام مقام اللام ، وحكي عن العرب : ما أغيظك علي ! وما أغمّك عليّ ! يريدون ما أغيظك وما أغمك لي !.

ويرى السيد أنّ للعرب مذهبا طريفا في استعمال الحروف بمكانها المناسب فمثلا يستعملون الحرف (على) في مقام الشرّ والكذب ، نحو قول القائل : قال عليّ ، وروى عليّ ، ويستعملون (عن) في مقام الخير والحقّ ، نحو قولنا : قال عني وروى عني ، ويذكر السيد الشواهد القرآنية لإثبات صحة ما ادعاه من استعمال العرب للحروف بحسب المعنى المراد فمثلا في قوله تعالى ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾ (سورة البقرة : الآية ١٠٢) ، ذكر السيد أنّهم لمّا أضافوا الشرّ والكفر إلى ملك سليمان (عليه السلام) حَسُن أن يقال : يتلون عليه ، ولو كان خيرا لقيل عنه ، ومثله قوله تعالى ﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة يونس : الآية ٦٨) .

٣. أن يكون (من فوقهم) تأكيدا للكلام وزيادة في البيان ، على نحو ما قاله تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ (سورة الحج : الآية ٤٦) ، والقلب لايكون إلّا في الصدر ، ونظائر ذلك كثيرة .

---

(١) ينظر : حاشية الدسوقي على مغني اللبيب : ٣٩٣/٢ -٤٠٣ .
(٢) ينظر : تفسير الشريف المرتضى : ٢٠/٣-٢٢.

ولي مع آراء الشريف المرتضى بشأن الآية وقفتان ، الأولى : بخصوص قوله بإنّ (على) قد تكون بمعنى (عن) في الآية ، فبحدود اطلاعي على التفاسير وما ذكره المفسرون بشأن الآية الكريمة لم أجد من ذكر هذا الرأي ، بل على العكس من ذلك وجدت الالوسي – ولعلّه اطلع على رأي المرتضى– يردّه ويرى فيه تطويلا من غير طائل لكون هذا المعنى يؤدي إلى تقدير مضاف ، أي : خرّ من أجل كفرهم السقف ، وجيء بقوله تعالى (من فوقهم) مع (خرّ) لدفع توهّم أن يكون قد خرّ وهم ليسوا تحته ، ولا يخفى ما في الكلام من عسر ومشقّة ولا ينبغي أن يتفوّه به فاضل [١] ، وقد انشغل المفسرون في سبب ذكر (من فوقهم) مع أنّ السقف لا يكون إلّا فوق ، وأجابوا عن ذلك بأنّه أُريد به التأكيد ، أو بيان أنّهم كانوا تحته حينما سقط عليهم [٢] ، والوقفة الثانية بشأن رأيه بأنّ للعرب مذهبا طريفا في استعمال (على) في مقام الشرّ والكذب ، و(عن) في مقام الخير والحقّ ، أقول : إنّ رأيه هذا ليس بمطّرد ، فالناظر في الآيات الأول لسورة البقرة يدرك ذلك جيدا ، قال تعالى ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ ﴾ (سورة البقرة : الآيات : ١- ٥) ، وقوله تعالى ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾(سورة الرعد : الآية ٢٤) ، وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ((الصلاة على وقتها))[٣] حينما سئل عن افضل الاعمال، وقال رسول الله أيضا : ((الصدقة على القرابة صدقة وصلة))[٤] ، وقال أيضا : ((صلّوا على أطفالكم فإنّهم من أفراطكم)) [٥] فجاءت (على) في كل تلك المواضع دالة على الخير والحقّ ، وبالمقابل استعملت (عن) في موضع الشرّ والكذب وذلك في قوله تعالى ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ۝٣٠ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٣١ ﴾ (سورة التوبة : الآيتان ٣٠-٣١) ، ويترجّح عندي والله العالم أنّ (على) في آية سورة النحل على بابها دالة على الاستعلاء ، وذكره تعالى لـ(من فوقهم) جاءت تأكيدا للكلام وزيادة في البيان ، وهو الوجه الثالث من الوجوه التي ذكرها الشريف المرتضى وأرتضاه أكثر المفسرين كما أشرت إليه سابقا .

جـ . الحرف (إلى) لانتهاء الغاية .

قال تعالى ﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران : الآية ٥٢) ، قال الشريف المرتضى عن الآية الكريمة : ((من أنصاري إلى الله أراد مع الله . وتقول العرب : وَلِيَ فلانٌ الكوفة إلى البصرة، وإنّما يريدون مع البصرة من غير التفات إلى الغاية))[٦] ، فلفظة (إلى) قد تكون بمعنى الغاية ،

---

(١) ينظر : روح المعاني : ٨ / ١٧٣.
(٢) ينظر : التفسير الكبير : ١٨/٢٠ ، وفتح القدير : ٥٣٨/٢ ، والتحرير والتنوير : ١٠٨/١٣ ، والأمثل : ٧/ ٤٠٣ ، والواضح في التفسير : ١٩٣/٩ .
(٣) صحيح مسلم: ١ /٩٠ .
(٤)وهج الفصاحة في أدب النبي : ٤٨٣ .
(٥) وهج الفصاحة في أدب النبي : ٤٨٥ .
(٦) تفسير الشريف المرتضى : ١٠٩/٢ ، والناصريات : ١١٧ .

وبمعنى (مع) [١] ، وقبل ان أعرض لأبرز آراء المفسرين فيما يخصّ الآية الكريمة أودّ الإشارة إلى أنّ الحرف (إلى) شأنه شأن الحروف الاخرى يحمل دلالة اصلية وهي انتهاء الغاية ، سواء كانت زمانية نحو قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ﴾ (سورة البقرة : الآية ١٨٧) ، أو مكانية نحو قوله تعالى ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ﴾ (سورة الإسراء : الآية ١) ، وإلى جنب هذه الدلالة المركزية للحرف (إلى) ظهرت دلالات تنشأ من التوسّع في المعنى ، ومن أشهرها أنّها تكون بمعنى (مع) وهو معنى المعيّة أو المصاحبة ، وذلك إذا ضممت شيئا إلى آخر [٢] ، وفي الآية الكريمة المذكورة آنفا حكى ابن عصفور عن الكوفيين أنّ (إلى) بمعنى (مع) ، ونقل ابن هشام ذلك أيضا عن الكوفيين وعن كثيرٍ من البصريين ، وتأولّ بعضهم ما ورد من ذلك على تضمين العامل وابقاء (إلى) على أصلها ، ويكون المعنى في الآية : من يضيف نصرته إلى نصرة الله ، و(إلى) في هذا أبلغ من (مع) ؛ لأنّك لو قلت : من ينصرني مع فلان لم يدلّ على أنّ فلانا وحده ينصرك ، بخلاف (إلى) فإنّ نصرة ما دخلت عليه واقعة محقّقة مجزوم بها [٣] ، ويتضحّ مما تقدّم أنّ ثمة خلافا بين الكوفيين والبصريين في تعليل استعمال (إلى) في قوله تعالى (من أنصاري إلى الله) ؛ إذ يرى أهل الكوفة ترادفا بين (إلى) و (مع) ، أمّا أهل البصرة فيؤولونها بتضمين معنى الإضافة ، أي : من يضيف نصرته إلى نصرة الله [٤] ، ولكي أقول رأيي المتواضع في الآية لابدّ لي من عرض آراء بعض المفسرين التي وجدتها تصبّ في دائرة الدلالة النحوية على النحو الآتي :

١. استحسن الفرّاء الرأي القائل بإنّ (إلى) في الآية الكريمة بمعنى (مع) ووجد فيه وجها حسنا ، وذكر أنّ (إلى) يجوز جعلها في موضع (مع) إذا ضممت الشيء إلى الشيء مما لم يكن معه ، كقول العرب : إنّ الذودَ إلى الذودِ إبل ؛ أي اذا ضممت الذود إلى الذود صارت إبلا ، أمّا إذا كان الشيء مع الشيء لم تكن (إلى) بمعنى (مع) ، فلا يقال مثلا في جملة : قدم فلانٌ ومعه مالٌ كثير ، قدم فلانٌ وإليه مالٌ كثير [٥] .

٢. قال الزمخشريّ عن الآية : (("إلى الله" من صلة أنصاري مضمنا معنى الإضافة ، كأنّه قيل : من الذين يضيفون أنفسهم إلى الله ينصرونني كما ينصرني ، أو يتعلق بمحذوف حالا من الياء ، أي من أنصاري ، ذاهبا إلى الله ملتجأ إليه " فمن أنصار الله " أي أنصار دينه ورسوله))[٦] .

٣.قال ابن عاشور : ((ووصل وصف أنصاري بـ(إلى) إمّا على تضمين صفة أنصار معنى الضم ، أي من ضامون نصرهم إياي إلى نصر الله إياي الذي وعدني به ؛ إذ لابدّ لحصول النصر من تحصيل سببه كما هي سنة الله ، قال تعالى ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ ﴾ (سورة محمد : الآية ٧) ، على نحو قوله تعالى ﴿ وَلَآ تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ ﴾ (سورة النساء : الآية ٢) أي ضامّينها ...، وإمّا على جعله حالا من ياء المتكلم

---

(١) ينظر : تفسير الشريف المرتضى : ١٠٩/٢ ، وقد جاءت (إلى) بمعنى (مع) في قول إمرئ القيس :
لَهُ كِفْلٌ كَالدَّعْص لَبَّدَهُ النَّدَى إلى حَارِكٍ مِثْلَ الغَبِيطِ المذأَبِ
أراد مع حارك ، ديوانه : ٧٦ ، وسورة المائدة الآية (٦) .
(٢) ينظر : معاني الحروف الثنائية والثلاثية بين القرآن الكريم ودواوين شعراء المعلقات السبع : ٢٧٦ .
(٣) ينظر : الجنى الداني : ٣٨٦ ، ومغني اللبيب : ١٠٤/١ .
(٤) ينظر : اتساع الدالة في الخطاب القرآني: ٣٥٩ .
(٥) ينظر : معاني القران : ٢١٨/١.
(٦) الكشاف : ٣٥٩/١ .

والمعنى في حال ذهابي إلى الله ، أي إلى تبليغ شريعته)) [١] ، ويضيف ابن عاشور قائلا : ((وعلى كلا الوجهين فالكون الذي اقتضاه المجرور هو كون من أحوال عيسى (عليه السلام) ، ولذلك لم يأتِ الحواريون بمثله في قولهم : نحن أنصار الله ... ، وكان جواب الحواريين دالا على أنّهم علموا أنّ نصر عيسى ليس لذاته بل هو نصر لدين الله ، وليس في قولهم (نحن انصار الله) ما يفيد حصرا ؛ لأنّ الإضافة اللفظية لا تفيد تعريفا ، فلم يحصل تعريف الجزأين ، ولكن الحواريين بادروا إلى هذا الانتداب))[٢] ، وبعد عرض هذه الآراء التي جاء بها النحويون والمفسرون والتي مثلت خلاصة القول في الآية الكريمة يترجّح عندي معنى الانتهاء لـ (إلى) في الآية ، وإليه ذهب حذّاق النحويين [٣] وأنا متابعٌ لهم في هذا المعنى .

د. الحرف (إن) بمعنى (ما) الجحدية .

قال تعالى ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ (سورة يونس : الآية ٩٤) .

أجاب الشريف المرتضى عن سؤال من يسأل : كيف يكون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في شكٍ مما أوحي إليه ؟ وكيف يسأل عن صحة ماأنزل إليه الذين يقرؤون الكتاب من قبله وهم اليهود والنصارى والمكذّبون له ؟ فقال : ((إنّ قوله تعالى (فإن كنت في شكٍ ممّا أنزلنا إليك) ظاهر الخطاب له (صلى الله عليه وآله وسلم) والمعنى لغيره ؛ كما قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ (سورة الطلاق : الآية ١) فكأنّه قال :فإن كنت أيها السامع للقرآن في شكٍّ مما أنزلناه على نبينا ؛ فاسأل الذين يقرؤون الكتاب))[٤] ، والناظر بتمعّن بتمعّن في الآية الكريمة لا يستبعد أن يكون الخطاب متوجها إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وإن كان لا يجوز عليه الشك [٥] ، قال تعالى﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ (سورة الزمر : الآية ٦٥) فهل فهل أشرك الرسول يوما ! (حاشاه عن فعل ذلك) .

ويضيف الشريف المرتضى قائلا : ((ووجدت بعض المفسرين يجعل (إن) هاهنا بمعنى (ما) التي للجحد ، ويكون تقدير الكلام : ماكنت في شكٍّ ممّا أنزلنا إليك ، واستشهدوا على ذلك بقوله تعالى ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ (سورة إبراهيم : الآية ١١) ؛ أي مانحن ، وقوله تعالى ﴿ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ (سورة فاطر : الآية ٢٣) ؛ أي ما أنت إلّا نذير))[٦] ، ويتابع السيد حديثه عن الآية فيقول : ((لاشكَّ ولا شبهةَ في أنّ لفظة (إن) قد تكون بمعنى (ما) في بعض المواضع ؛ إلّا أنّه لا يليق بهذا الموضع أن تكون (إن) بمعنى (ما) ؛ لأنّه لا يجوز أن يقول تعالى : ما أنت في شكٍّ مما أنزلنا اليك ، فاسأل الذين يقرؤون الكتاب ؛ لأنّ العالم لا حاجة به إلى المسألة ، وإنّما يحتاج أن يسأل الشاكُّ))[٧] ، غير أنّ السيد استدرك على كلامه المتقدّم وذكر أنّه يمكن نصرة الرأي القائل بورود (إن) في الآية بمعنى (ما) بأنّه تعالى لو أمره بسؤال أهل الكتاب من غير أن ينفي شكّه لأوهم أمره بالسؤال أنّه شاكٌّ في صدقه ، وصحة ما أنزل إليه ، فقدّم كلاما يقتضي نفي الشكّ عنه فيما أنزل عليه ، ليعلم أنّ أمره بالسؤال ليزول الشكّ عن غيره لا عنه [٨] ، ولم يبعد

---

(١) التحرير والتنوير : ١٠٥/٣ .
(٢) التحرير والتنوير : ١٠٥/٣ .
(٣) ينظر : الخصائص : ٥١١ ، والتبيان في إعراب القرآن : ١٩١/١، وشرح المفصّل : ١٥/٨ ، وشرح الرضي : ٢٧١/٤ .
(٤) تفسير الشريف المرتضى : ٤٢٥/٢ ، وأماليه : ٣٨٢/٢ .
(٥) ينظر : تفسير الشريف المرتضى : ٤٢٥/٢ .
(٦) تفسير الشريف المرتضى : ٤٢٦/٢ .
(٧) تفسير الشريف المرتضى : ٤٢٦/٢.
(٨) ينظر : تفسير الشريف المرتضى : ٤٢٦/٢ .

الشريف المرتضى عمّا ذكره المفسرون ، فذهب الزجاج إلى أنّ الخطاب شامل للخلق ، والمعنى : إن كنتم في شكّ فاسألوا ، والدليل على ذلك قوله تعالى في آخر السورة ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة يونس : الآية ١٠٤) ، وذكر أيضا آية سورة الطلاق المذكورة آنفا كدليلٍ آخر على أنّ المراد بالآية الكريمة خطاب الخلق ، غير أنّ الزّجاج لم يغفل الرأي القائل بإنّ (إن) بمعنى (ما) فذكره ووجّه معناه بأنّ الله جلّ وعلا لم يأمر نبيه الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) بسؤال الذين يقرؤون الكتاب لأنّه شاكّ بما أنزل الله تعالى، ولكن ليزداد يقينا مشابها لما حصل للنبي إبراهيم (عليه السلام) حين سأل ربّه أن يريَه كيف يحيي الموتى[١]، وقد توسّع ابن عاشور في تفسيره للآية الكريمة وبيان المراد منها ، ويمكنني الوقوف على أهمّ ماقاله على النحو الآتي[٢]:

١. تحتمل الآية عنده معنيين لايستقيم ماسواهما ، أولهما : أنْ تبقى الظرفية التي دلت عليها (في) بقوله تعالى (في شكّ) على حقيقتها ، ويكون الشكّ قد أطلق وأريد به أصحابه ؛ أي فإن كنت في قوم أهل شكّ مما أنزلنا إليك ، أي يشكون في وقوع هذه القصص ، كما يقال : دخل في الفتنة ، أي في أهلها ، ويكون معنى قوله تعالى (فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك) فاسأل أهل الكتاب سؤال تقرير وإشهاد عن صفة تلك الأخبار يخبروا بمثل ماأخبرتم به ، وبذلك يزول الشك من نفوس المشككين إذ لايحتمل بأي حالٍ من الاحوال أن يكون النبي (صلى الله عليه وآله سلم) متواطئا مع أهل الكتاب على تلك الأخبار ، وبذلك يكون قصد الآية إقامة الحجة على المشركين بشهادة أهل الكتاب من اليهود والنصارى قطعا لمعذرتهم ، وهذا المعنى أشار إليه الشريف المرتضى وكذلك الزّجاج فيما تقدّم من ذكرهما في تفسير الآية، غير أنّ ابن عاشور أطّره بإطار السَّعة ، وإخراج الكلام بحلّةٍ جديدة متناولا الظرفية التي حملها الحرف (في) في الآية ، ولم يتطرق إلى مسألة ورود (إنْ) بمعنى (ما) في الآية ، وعلى أية حال مثّل الرأي الأول لابن عاشور فيما دلت عليه (في) الظرفية الحقيقية ، والمعنى الآخر هو أن تكون (في) للظرفية المجازية كالتي في قوله تعالى ﴿ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ ﴾ (سورة هود : الآية ١٠٩) ، ويكون سوق هذه المحاورة إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على طريقة التعريض لقصد أن يسمع ذلك المشركون فيكون استقرار حاصل المحاورة في نفوسهم أمكن لو ألقي إليهم مواجهة

٢. إنّ كلا الإحتمالين المذكورين آنفا يلاقي قوله تعالى (فاسأل الذين يقرؤون الكتب من قبلك) فإنّه يقتضي أنّ المسؤول عنه ممّا لايكتمه أهل الكتاب وأنّهم يستشهدون به ، وإنّما يستقيم ذلك في القصص الموافقة لما في كتبهم فإنّهم لا يتحرجون من إعلانها والشهادة بها وغير هذين المعنيين عند ابن عاشور لايمكن قبوله وتنافيه الآية الكريمة ، فلو أُخذ بظاهر الآية على أنّ المراد بالآية المباركة خطاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على وفق قوله تعالى (من قبلك) لاصطدمنا بقوله تعالى (مما أنزلنا إليك) الذي ينافي ذلك ، فهل كان الرسول شاكّا بما أُنزل إليه ؟.

---

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٣ /٣٢ -٣٣ .
(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ١١/١٧٦-١٧٨ .

٣. إنّ جملة (فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك) على وفق ماتقدّم بيانه تكون جوابا للشرط في قوله تعالى (إن كنت في شكّ مما أنزلنا عليك) باعتبار ماتفيده مادّة السؤال عن كونهم يجيبون ممّا يزيل الشكّ ، وبذلك يلتئم التلازم بين الشرط والجواب ، كما دلت عليه جملة (لقد جاءك الحقّ من ربّك) وهذه الجملة مستأنفة استئنافا بيانيا لجوابِ سؤال ناشئ عن الشرط وجوابه، كأنّ السامع يقول : فإذا سألتهم ماذا يكون، فقيل : لقد جاءك الحقّ من ربّك، ولمّا كان المقصود من ذلك علم السامعين بطريق التعريض لاعلم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قرنت الجملة بحرفي التأكيد وهما (لام القسم ، قد) لدفع انكار المعرض بهم ، وحاصل المعنى : إنّ الشاكّ في صدق المنزل على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه أن يسأل أهل الكتاب ليخبروه بصدق ذلك لكونه مذكورا في كتبهم .

أقول : إنّ ماجاء به ابن عاشور من تحليل دقيق للآية الكريمة ينسف رأي من يذهب إلى أنّ (إن) في الاية بمعنى (ما) ، فهو لم يُشغل فكره في ذلك ، وركّز على المهم في الآية – (في) ومجرورها) علامَ تعود –، وذلك بيّن فيما تقدّم ، وبالعودة إلى ماذكره الشريف المرتضى من أنّه بالإمكان تأييد من ذهب إلى حمل (إن) في الآية على معنى (ما) استنادا إلى أنّ الله جلّ وعلا قدّم كلاما يقتضي نفي الشكّ عن رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما أُنزل عليه ، ليعلم أنّ أمره بالسؤال جاء لإزالة الشكّ عن غيره لا عنه أراه تكلفا من غير مسوِّغ لذلك ، وقد ردّ الله كلّ اتهامات المشركين للرسول بأسلوب النفي الصريح ، ومن ذلك مايأتي :

- أُتُهم (عليه أفضل الصلاة والسلام) بأنّه من وضع القرآن ، ونفى عنه تعالى هذه التهمة بقوله تعالى ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ (سورة العنكبوت : الآية ٤٨) .
- أُتُهم بأنّه شاعر وقوله قول شعر ، ونفى عنه تعالى هذه التهمة بقوله ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ (سورة الحاقة : الآيتان : ٤٠-٤١) .
- أُتُهم (صلى الله عليه وآله وسلم) بالضلال والغواية ، ونفى عنه تعالى هذه التهمة بقوله ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ (سورة النجم : الآية ٢) .
- وأُتُهم أيضا بالجنون ، ونفى عنه تعالى هذه التهمة بقوله ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ (سورة القلم : الآية ٢) .

إلى غير ذلك من الاتهامات التي وجهت إلى شخصه الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ونفاها تعالى عنه، والملاحظ في الآيات أعلاه أنّ النفي جاء صريحا بأداة النفي (ما) التي قد يخلع عنها جلباب الزمن وتكون دالة على الحقيقة المطلقة من دون تقييد[١] ، كقوله تعالى ﴿ يى ذُ زَّ﴾ سورة المجادلة : الآية ٢) ، وهي بهذا المعنى في الآيات المذكورة آنفا .

ولا أدري ما الذي دفع الشريف المرتضى إلى أن يستدرك على كلامه الأول بعدم جواز وقوع (إن) بمعنى (ما) في الآية ، والعودة إلى نصرة هذا الوجه ؟ ، أمّا ماذكره الزّجاج بأنّ الله أمر نبيه الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) بسؤال الذين يقرؤون الكتاب ليزداد يقينا مشابها لما حصل للنبي إبراهيم (عليه السلام) حين سأل ربّه أن يريه كيفية إحياء الموتى ، وعلى هذا المعنى يمكن حمل (إن) في الآية على معنى (ما) .

أقول : هذا الكلام مردود ، فالنبي إبراهيم (عليه السلام) هو الذي طلب من ربّه أن يريه كيفية إحياء الموتى ليطمئن قلبه على نحو ماتخبرنا به الآية الكريمة ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ

(١) ينظر : معاني النحو : ١٦٤/٤ .

تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِيۖ ﴾ (سورة البقرة : الآية ٢٦٠) ، فاستجاب له تعالى وعلّمه ذلك على نحو ما أفاضت به الآية الكريمة من سورة البقرة ، أمّا نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يطلب من الله أن يزيد في يقينه أو اطمئنان قلبه ، قال تعالى ﴿ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ ﴾ (سورة النجم : الآيات ٧-١١) ، وبذلك يتبين التفاوت بين الانبياء مصداقا لقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍۖ ﴾ (سورة الإسراء : الآية ٥٥) ، ومن كلّ ماتقدّم بيانه يترجّح عندي – والله العالم – بقاء (إن) على شرطيتها في الآية وعدم تضمنها معنى (ما) الجحدية ، وللشيخ ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره كلامٌ دقيق ، يقول فيه : ((إنّ ذكر الجملة الشرطية لايدلّ دائما على احتمال وجود الشرط ، بل هو للتأكيد على مسألة ما أحيانا ، أو لبيان قانون كليّ عامّ، فنقرأ مثلا في الآية (٢٣) من سورة الإسراء ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ ، وينبغي الإنتباه إلى أنّ المخاطب في الآية هو النبي ظاهرا ، إلّا أنّه لمّا كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد فقد أباه قبل ولادته، وأمّه في طفولته فإنّ من الواضح أنّ احترام الوالدين طرح هنا كقانونٍ عام))[١] .

زيادة على ذلك أنّ أسلوب خطاب القريب من أجل تنبيه البعيد يعدّ أسلوبا رائجا في العرف ، وهذا هو المراد من المثل المعروف (إيّاك أعني واسمعي ياجارة)* ، وهو أبلغ الأساليب وانجحها في الدعوة إلى الحقّ الذي تتساوى امامه جميع الناس [٢] .

هـ ـ الحرف (في) بمعنى (إلى) .

قال تعالى ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ۝٨٨ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ۝٨٩ ﴾ (سورة الصافات : الآيتان : ٨٨ ـ٨٩) .

ذكر الشريف المرتضى لهذه الآية وجوها عدّة في معرض إجابته عن سؤال من يسأل عن معنى الآية ، وكيف يحكي الله عزّ وجل عن نبيه إبراهيم (عليه السلام) النظر في النجوم ، ومايفعله المنجّمون من ذلك فيه ضلال*، وكيف يقول النبي إبراهيم (عليه السلام) : (إنّي سقيم) وذلك كذب ؟ غير أنّ أهم هذه الوجوه وألصقها ببحثي الوجه الآتي : ((إنّ إبراهيم (عليه السلام) كانت به علّة تأتيه في أوقات مخصوصة ، فلمّا دعوه إلى الخروج معهم – أي الخروج إلى معيّدهم حين سألوه أن يعيّد معهم – نظر إلى النجوم ليعرف منها قرب نوبة علته فقال : إنّي سقيم وأراد أنّه قد حضر وقت العلة وزمان نوبتها وشارف الدخول فيها ، وقد تسمي العرب المشارف للشيء باسم الداخل فيه ، ولهذا يقولون فيمن أدنفه المرض وخيف عليه الموت هو ميّتٌ))[٣] ، ويضيف الشريف المرتضى قائلا : ((فإن قيل : فلو أراد ماذكرتموه من معنى لقال : فنظر نظرة إلى النجوم ولم يقل في النجوم ؛ لأنّ لفظة (في) لاتستعمل إلّا فيمن ينظر كما ينظر المنجّم ، قلنا : ليس يمتنع أن يريد بقوله

---

(١) تفسير الأمثل : ٥/ ٥٤٠.
*ينظر هذا المثل في مجمع الامثال: ٤٩/١ .
(٢) ينظر : التفسير الكاشف : ١٩١/٤ .

* ورد النهي عن تعلّم النجوم ، يقول الإمام علي (عليه السلام) : ((إياكم وتعلم النجوم ، إلّا مايهتدي به في بر أو بحر فأنّها تدعو إلى الكهانة ، والمنجّم كالكاهن ، والكاهن كالساحر ، والساحر كالكافر ، والكافر في النار)) ، نهج البلاغة : ١٢٥/٢ .
(٣) تفسير الشريف المرتضى : ٢٤٨/٣ ، وتنزيه الأنبياء : ٤٥ ـ٤٦ .

في النجوم أنّه نظر إليها لأنّ حروف الصفات يقوم بعضها مقام بعض ، قال الله تعالى ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ (سورة طه : الآية ٧١) ، وإنّما أراد على جذوعها))[١] ، وحين نظرت إلى الآيتين المذكورتين آنفا من سورة الصافات انقدح في ذهني سؤالان أحدهما متعلّق بالآخر ، الأول : ما الدليل على أنّ (في) في الآية بمعنى (إلى) ؟ ، والآخر : ما الحكمة من النظر إلى النجوم ، والقول والإخبار بالسقم من قبل النبي إبراهيم (عليه السلام) لقومه ؟ .

إنّ جواب السؤال الأول يستشفُّ من الآية ذاتها ، فالفعل (نظر) الوارد فيها يتعدّى بـ (إلى) نحو قوله تعالى ﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ ﴾ (سورة الأعراف : الآية ١٤٣) ، وقوله تعالى ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ﴾ (سورة يونس : الآية ٤٣) وغيرها من الآيات .

وتكون (في) بمعنى (إلى) نحو قوله تعالى ﴿ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾ (سورة إبراهيم : الآية ٩)، ويحتمل أن يكون النظر في الآية بمعنى الفكر وهو يتعدى بـ (في) [٢] نحو قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (سورة الأعراف : الآية ١٨٥) ، وبهذا يكون النبي إبراهيم (عليه السلام) قد نظر إلى النجوم و(في) بمعنى (إلى) في الآية الكريمة ، وبالإنتقال إلى السؤال الآخر عن حكمة النظر إلى النجوم والإخبار بالسقم وجدتُ المفسرين قد أفاضوا في الحديث عن ذلك إلّا أنّ ثمة جامعا ربط أقوالهم وجعلها بمثابة الحكم الفيصل في الإجابة عن السؤال ، وهو أنّ نظر النبي إبراهيم (عليه السلام) إلى النجوم وإخباره لقومه بأنّه سقيم يعدّ من المعاريض في الكلام ، والمعاريض تعني أن يقول الرجل شيئا يقصد به غيره ، فيفهم منه غير مايقصده ، ولايكون ذلك كذبا ؛ لأنّ الكذب قبيحٌ ولايجوز على الأنبياء[٣] ، وقد استعمل أسلوب التورية والإعراض من قبل الانبياء (عليهم السلام) فنقرأ – مثلا – في قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴾ (سورة يوسف : الآية ٧٠) ولسائلٍ أن يسأل ويقول : كيف يتهم النبي يوسف (عليه السلام) أخوته بسرقة لم يرتكبوها ؟

والجواب عن ذلك أقول : إنّهم في نظر النبي يوسف (عليه السلام) سارقون ، فقد سرقوه من أبيه حين كان طفلا وألقوه في الجبِّ ، أليست هذه سرقةٌ وزيادة ؟![٤] ، ثم لنتأمل وننظر في الآية الآتية ، قال تعالى ﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ (سورة يوسف : الآية ٧٧) ، نلحظ في الآية أنّ أخوة النبي يوسف (عليه السلام) لمّا استُخرج صواع الملك من وعاء بنيامين قالوا قولتهم المذكورة في الآية وأتهموا يوسف بتهمة السرقة من دون دليلٍ ، وما ذلك إلّا استمرار لحقدهم على أخيهم ، فما كان من يوسف (عليه السلام) – وهو الحليم – إلّا أنْ يقول بينه وبين نفسه (أنتم شرٌّ مكانا) إشارة إلى فعلتهم به ، وسرقتهم إيّاه من أبيه وتغييبه عنه كلّ تلك السنين[٥] .

---

(١) تفسير الشريف المرتضى: ٣/٢٤٨-٢٤٩ .
(٢) ينظر : دراسات لاسلوب القرآن الكريم :٢/٢٣٦ .
(٣) ينظر : الكشاف : ٤/ ٤٧ ، ومجمع البيان : ٨/ ٢٤٣ -٢٤٤ ، وزبدة التفاسير : ٥/ ٥٦١ -٥٦٢ ، ونفحات الرحمن: ٥ / ٣٠٤ ، ومن هدى القرآن : ١١/ ٢٥٥ – ٢٥٧ .
(٤) ينظر : تفسير الشعراوي: ١١/ ٧٠٢٤ ، والتفسير الكاشف : ٤/ ٣٤١ – ٣٤٢ .
(٥) ينظر : نظم الدرر: ١٠/ ٢٠٦ .

وأقف متسائلا : أليس في قول النبي يوسف (عليه السلام) (أنتم شرّ مكانا) بيان للإعراض في الكلام في قوله تعالى (إنّكم لسارقون) ؟ ، وإن قال قائل : استُخرج الصواع من وعاء بنيامين وليس من أوعيتهم ، قلتُ : نعم ، وذلك لحكمة إلهية اقتضت ذلك ، ولكن هذا لايمنع أنْ يكون في الكلام تورية وإعراض ، والدليل على ذلك قوله تعالى على لسان نبيه يوسف (عليه السلام)﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ (سورة يوسف : الآية ٨٩) ، فالآية تشير بوضوح إلى أنّ النبي يوسف (عليه السلام) قصد في سؤاله لإخوته في هذه الآية وبقوله سابقا (إنّكم لسارقون) وقوله (أنتم شرّ مكانا) ، فعلهم به في طفولته الذي هو بمثابة السرقة إن لم يكن أكبر منها ، وبالعودة إلى آية سورة الصافات ومايتعلق بالنبي إبراهيم (عليه السلام) فالإعراض في كلامه بقوله (إنّي سقيم) يكمن في أنّه سقيم في دينه لا في بدنه ، إذ إنّه (عليه السلام) من دون تحطيم الاصنام التي كانت تعبد من دون الله جهارا كان سقيما من دون شك [١] ، ولعلّ هذا المعنى هو المقصود بقول الإمام الصادق (عليه السلام) : ((ماكان إبراهيم سقيما وما كذب ، إنّما عنى سقيما في دينه)) [٢] .

وفي هذه الآية وآية سورة يوسف المتقدم ذكرها دليل على بطلان ادّعاء الشيخ ناصر مكارم الشيرازي من أنّ استخدام الانبياء التورية يعدّ عملا غير مناسب [٣] .

موارد البحث .

- القرآن الكريم .

١. ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة ، عبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي الزبيدي (ت : ٨٠٢هـ) ، تح :د.طارق الجنابي ، ط١ ، عالم الكتب ، بيروت ـ لبنان ، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .
٢. إتساع الدلالة في الخطاب القرآني ، د.محمد نور الدين المنجد ، ط١ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م .
٣. الأصول في النحو ، محمد بن السري المعروف بابن السراج (ت : ٣١٦هـ) ، تح : د.عبد الحسين الفتلي ، ط٤ ، منشورات مؤسسة الرسالة ، بيروت ـ لبنان ، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م .
٤. أمالي المرتضى ، علي بن الحسين الشريف المرتضى (ت : ٤٣٦هـ) ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ـ مصر ، ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م .
٥. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، ط١ ، منشورات مؤسسة الأعلمي ، بيروت ـ لبنان ، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م .
٦. أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك ، جمال الدين بن هشام (ت : ٧٦١هـ) ، تح : يوسف الشيخ محمد البقاعي ، منشورات دار الفكر ، بيروت ـ لبنان ، د.ت .
٧. بدائع الفؤاد ، محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن القيم الجوزية (ت : ٧٥١ هـ) ، تح : علي العمران ، إشراف : بكربن عبد الله أبو زيد ، دار عالم الفؤاد ، د.ت .
٨. البرهان في تفسير القرآن ، السيد هاشم البحراني (ت :١١٠٧هـ) ، تح : لجنة من العلماء والمحققين والاخصائيين ، ط٢ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ـ لبنان ، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م .
٩. التبيان في إعراب القرآن ، عبد الله بن الحسين أبو البقاء العكبري (ت : ٦١٦هـ)، تح : سعد كريم الفقي ، ط١ ، دار اليقين ، الإدارة ـ المنصورة ، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م .
١٠. التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين ، أبو البقاء العكبري ، تح : د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، ط١ ، الدار اللبنانية ، بيروت ـ لبنان ، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١١م .

(١) ينظر : من هدى القرآن : ١١/ ٢٥٥ـ ٢٥٧ .
(٢) تفسير نور الثقلين:٢٠٣/٦ .
(٣) ينظر : القصص القرآنية (مقتبس من تفسير الأمثل) : ٨٢ ـ٨٣ .

١١. ترتيب كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت : ١٧٠هـ) ، تح : د.مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي ، تصحيح : الأستاذ : أسعد الطيب ، ط٢ ، مطبعة أسوة ، إيران ، ١٤٢٥هـ .
١٢. تفسير ابن عاشور المسمى (التحرير والتنوير) ، محمد الطاهر بن عاشور (ت : ١٣٣٩هـ) ، ط١ ، مؤسسة التاريخ ، بيروت ـ لبنان ، د.ت .
١٣. تفسير الثعلبي المسمّى (الكشف والبيان عن تفسير القرآن) ، ابو اسحاق احمد بن محمد الثعلبي (ت ٤٢٧ هـ) ، مراجعة وتدقيق: الاستاذ نظير الساعدي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، د.ت
١٤. تفسير الشريف المرتضى المسمى (نفائس التأويل) ، أبو القاسم علي بن الحسين الشريف المرتضى، جمعه لجنة من العلماء والمحققين بإشراف : السيد مجتبى أحمد الموسوي ، ط١ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ـ لبنان ، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م .
١٥. تفسير الشعراوي ، محمد متولي الشعراوي (ت : ١٤١٨هـ) ، منشورات مطابع أخبار اليوم ، د.ت .
١٦. التفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية ، ط٤ ، دار الأنوار ، بيروت ـ لبنان ، د.ت.
١٧. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، فخر الدين الرازي (ت : ٦٠٦هـ) ، ط٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ٢٠٠٩م .
١٨. تفسير نور الثقلين ، المحدّث الجليل العلامة الشيخ عبد علي جمعة العروسي الحويزي (ت :١١١٢هـ) ، تح : السيد علي عاشور ، ط١ ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ـ لبنان ، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م .
١٩. تنزيه الأنبياء ، أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي المعروف بالشريف المرتضى، ط١ ، انتشارات الشريف المرتضى ، قم ـ إيران ، ١٣٧٦هـ .
٢٠. جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير ابو جعفر الطبري (ت : ٣١٠ هـ) تح : احمد محمد شاكر ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠ م.
٢١. جامع الدروس العربية ، الشيخ مصطفى الغلاييني (ت : ١٣٦٤هـ)، راجع هذه الطبعة ونقحها: سالم شمس الدين ، ط١ ، دار الكوخ للطباعة والنشر ، ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م.
٢٢. الجني الداني في حروف المعاني ، صنعه الحسن بن القاسم المرادي (ت : ٧٤٩هـ) ، تح : د.فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م .
٢٣. حاشية الدسوقي (ت : ١٢٣٢هـ) على مغني اللبيب عن كتب الأعاريب للأمام ابن هشام الأنصاري ، محمد بن عرفة الدسوقي ، منشورات دار ومكتبة الهلال ، بيروت ـ لبنان ، ٢٠٠٩ م.
٢٤. الخصائص ، ابو الفتح ابن جني (ت : ٣٩٢هـ) ، تح : محمد علي النجار ، ط٢ ، عالم الكتب ، بيروت ـ لبنان ، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م .
٢٥. دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، محمد عبد الخالق عضيمة ، دار الحديث ، القاهرة ـ مصر ، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م .
٢٦. ديوان امرئ القيس ، امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي ، اعتنى به : عبد الرحمن المصطاوي ، ط٢ ، دار المعرفة ، بيروت ـ لبنان ، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م .
٢٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، أبو الثناء الآلوسي البغدادي (ت : ١٢٧٠هـ) ، تح : أبو عبد الرحمن فؤاد سراج ، المكتبة التوقيفية ، القاهرة ـ مصر ، د.ت .
٢٨. زبدة التفاسير ، فتح الله شكر الشريف الكاشاني (ت : ٩٩٨هـ) ، تحقيق ونشر مؤسسة المعارف الإسلامية ، قم ـ إيران ، د.ت .
٢٩. شرح الرضي على الكافية (ت : ٦٨٦هـ) ، تصحيح وتعليق : يوسف حسن عمر ، منشورات جامعة قاريونس ، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.
٣٠. شرح المفصل ، الشيخ العلامة جامع الفوائد موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت : ٦٤٣هـ) ، ط١ ، منشورات ذوي القربى ، قم ـ إيران ، د.ت .
٣١. صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل إلى العدل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت : ٢٦١هـ) ، تح : محمد فؤاد عبد الباقي ، منشورات دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ لبنان ، د.ت .
٣٢. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، تأليف : محمد بن علي الشوكاني (ت : ١٢٥٠هـ) ، اعتنى به وراجع أصوله : يوسف الغوش ، ط٤ ، دار المعرفة ، بيروت ـ لبنان ، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م .
٣٣ . القصص القرآنية (مقتبس من تفسير الأمثل) ، آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي مع مشاركة جمع من العلماء والفضلاء ، إعداد وتنظيم : السيد حسين الحسيني ، ط١ ، دار الكاتب ، لندن ، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م .
٣٤. كتاب سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت : ١٨٠ هـ) ، تح : عبد السلام هارون ، ط٤ ، منشورات مكتبة الخانجي ، القاهرة ـ مصر ، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م .

٣٥. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت : ٥٣٨هـ) ، وبحواشيه أربعة كتب : الأول : الإنتصاف للإمام أحمد بن المنير الإسكندري ، والثاني : الكاف الشاف في تخريج احاديث الكشاف للحافظ بن حجر ، والثالث : حاشية السيد محمد عليان المرزوقي على تفسير الكشاف ، والرابع : مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف للشيخ محمد عليان المذكور ، رتبه وضبطه وصححه : محمد عبد السلام شاهين ، ط٥ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ٢٠٠٩م .
٣٦. مجمع الأمثال ، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (ت : ٥١٨هـ) ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، منشورات دار المعرفة ، بيروت ـ لبنان ، د.ت.
٣٧. مجمع البيان في تفسير القرآن ، الإمام أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي من أكابر علماء الإمامية في القرن السادس (ت : ٥٤٨هـ) ، وضع حواشيه وخرج آياته وشواهده : إبراهيم شمس الدين ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م .
٣٨. معاني الحروف الثنائية والثلاثية بين القرآن الكريم ودواوين شعراء المعلقات السبع ، د.رزاق عبد الأميرمهدي الطيار ، ط١ ، دار الرضوان للنشر والتوزيع ، عمان ـ الأردن ، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م .
٣٩. معاني القرآن ، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت : ٢٠٧هـ)،ط٣ ، عالم الكتب ، بيروت ـ لبنان ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .
٤٠. معاني القرآن وإعرابه ، أبو اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج (ت :٣١١هـ)، شرح و تحقيق : د . عبد الجليل عبده شلبي ، ط١ ، عالم الكتب ، بيروت ـ لبنان ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .
٤١. معاني النحو ، د.فاضل صالح السامرائي ، ط٢ ، شركة العاتك للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.
٤٢. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، عبد الله بن يوسف بن جمال الدين بن هشام ، تح : مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، ط٦ ، منشورات دار الفكر ، دمشق ـ سوريا ، ١٩٨٥م .
٤٣. المقتضب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تح : محمد عبد الخالق عضيمة ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ـ مصر ، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤م .
٤٤. من هدى القرآن ، العلامة السيد محمد تقي المدرسي ، ط١ ، منشورات مكتبة العلامة المدرسي ، ١٤٠٧هـ.
٤٥. الميزان في تفسير القرآن ، العلامة السيد محمد الطباطبائي (ت : ١٤٠٢هـ) ، صححه وأشرف على طباعته : الشيخ حسين الأعلمي ، ط١ ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ـ لبنان ، ١٩٩٧م .
٤٦. الناصريات ، الشريف المرتضى، تح : مركز البحوث والدراسات العلمية ، مطبعة مؤسسة الهدى ، منشورات رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية ، مديرية الترجمة والنشر ، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
٤٧. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، أبراهيم عمر بن حسن الرباط البقاعي (ت : ٨٨٥هـ) ، دار الكتاب الاسلامي ،القاهرة ـ مصر ، د.ت .
٤٨. نفحات الرحمن في تفسير القرآن ، الشيخ محمد عبد رحيم النهاوندي (ت : ١٣٧١هـ) ، تح : قسم الدراسات الاسلامية ، ط١،مؤسسة البعثة، قم ـ إيران ، ١٤٢٩هـ .
٤٩. نهج البلاغة ، شرح الأستاذ المرحوم محمد عبده ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ـ مصر ، د.ت .
٥٠. الواضح في التفسير ، السيد عباس علي الموسوي ، ط١ ، مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ـ لبنان ، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م .
٥١. الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، ابو الحسن علي بن احمد بن محمد النيسابوري الشافعي (ت : ٤٦٨ هـ) ، تح: الشيخ عادل احمد عبد الموجود وآخرون ، قدّمه وقرّبه : الاستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤ م.
٥٢. وهج الفصاحة في أدب النبي (خطب ـ رسائل ـ مواعظ ـ حكم ـ أمثال ـ وصايا) ، علاء الدين الأعلمي ، ط١ ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ـ لبنان ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨.